منهج ابن قتيبة في كتابه
تفسير غريب القرآن

د. محمود حسين الزهيري

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إظهار منهج ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن، وتجلية شخصيته العلمية. وبيان تتبعه اللفظ في سياقه وأين وقع في القرآن الكريم. ومن أين استقى معلوماته وثقافته، والطريقة التي وظف فيها الشعر العربي وشواهده لتأكيد ما يذهب إليه، واستعانته بالحديث الشريف في بيان معنى الغريب. حيث كان يميل إلى الاختصار والإيجاز. وكان منهجه منهج المرجح وليس الناقل والمصوب وليس المتابع، فكشف البحث عن عقلية يقظة لا تستسلم لما يقوله السابقون دون تمحيص واختبار. كما هدف البحث إلى تجلية طريقته الطريفة في تفسير القرآن بالقرآن نفسه، وكذلك طريقته في دقائق المعاني اللغوية وتبادل الحروف أماكنها وقدرته على التفريق بينها. وسيخلص البحث إلى أن طريقته كانت قريبة من المعاجم والقواميس لكنها مرتبة حسب السور والآيات. وقدرته على الإلمام بعلوم القرآن والقراءات القرآنية لبيان مكانته العلمية والفكرية.

نهج ابن قتيبة[١] في كتابه الموسوم بـ: تفسير غريب القرآن منهجاً وسطاً في تناوله المادة العلمية، فأشبه ما يكون مختصراً لكتابه مشكل القرآن. ولعله جعل أحدهما للمشكل والآخر للغريب[٢]. إلا إنه في الاثنين يلمس الاختصار والإيجاز[٣] لديه.

لكنه يشرح أحياناً إذا أحس أنها في حاجة إلى التوضيح والبيان، فيقف عندها موضحاً مستجلياً أمرها.

ويبدو أن كثرة تصانيفه حملته على الاختصار في بعضها، فقد ذكر السابقون أنه صاحب مصنفات كثيرة[٤]، ومن ظواهر اختصاره أنه لم يتوقف عند كثير من القضايا التي يطول شرحها، وكان حولها خلاف العلماء، فاختفت عنده

---

(١) هو أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي الكاتب صاحب التصانيف، ولد سنة ٢١٣هـ، وسكن بغداد، وولي قضاء الدينور، كان من الثقات من أهل السنة، أخذ عن علماء عصره، كإسحاق بن راهويه، والسجستاني، واشتغل بالتدريس، له عدة مصنفات منها غريب القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، وكان ثقة فاضلاً ديناً توفي سنة ٢٧٦هـ. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ٢٩٦/١٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط (٩)، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، بيروت.
العسقلاني: الحافظ شهاب الدين، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، ٤٣٩/٣، دار الفكر للطباعة.

(٢) انظر مقدمة محقق تفسير غريب القرآن، أحمد صقر، ص-أ- ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٣) انظر، الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، ص١٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٣)، ١٩٨١م، عندما يقول: "إن الذين عند ربك: يعني الملائكة"، وقوله: "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف"، أصل الذواق بالضم ثم قد يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، فهو في المشكل يشرح ويوضح، لكنه في الغريب يختصر.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٢٩٧/١٣.

الأسانيد وقلتِ الشواهد إلا فيما لا بد منه، ولم يَخُض في قضايا النحو والإعراب وخلافاته إلا في مواطن محددة[1]، كان لا بد من الإشارة إليها.

ولما كان الكتاب موسوماً بالتفسير فإن المتوقع منه أن يعرض لآراء المفسرين واللغويين، إلا أنه لم يفعل ولم يشر إلى خلافاتهم، ولم يكثر من تعداد أقوالهم، أو ترجيحها إلا في مواطن محددة. فكأنه أراده كتاباً ميسوراً يتناوله الناس سهلاً دون تعقيد ومتاهات اختلاف، ومعارك ترجيح، فترك ذلك الميدان لمن يبحثون عنه في كتب التفسير المطولة. فالتزم بما شرطه على نفسه بقوله في المقدمة: (وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أَن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وأن لا نحشو كتابنا بالنحو والحديث والأسانيد...)[2].

ويكون بذلك نحا نحو المعاجم والقواميس، وما يشبهها في بيان معنى اللفظ المفرد، ويضرب عن باقيها صفحاً، لظهور معناها المراد منها، فكانت عنايته منصبة على الغريب فقط، أو ما يظهر أنه غريب في سياقه أو تركيبه.

منهجه في تناول الغريب

تناول ابن قتيبة بداية ألفاظ اسم الذات العلية وصفاتها المقدسة – سبحانه وتعالى– وهي مما يكثر ورودها في القرآن الكريم، فأخذ في إيرادها مبيناً معانيها. وتلك أولى اختصاراته فيقول: "ومن صفاته السلام. قال: ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾ (الحشر: ٢٣)، ومنه سمي الرجل عبدالسلام كما يقال عبدالله"[3].

فذكر الاسم، ثم دلل عليه بما جاء في القرآن الكريم بآيات سمى الله بها نفسه، ثم أكد بما درج في المجتمع من تسمية عبدالسلام وعبدالله، فلولا أنه اسم

---

(١) مقدمة المحقق، ص-ب-.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٣.

(٣) السابق نفسه، ص٦.

من أسماء الله سبحانه لما أجمع الناس وتوافقوا على التسمية بذلك، ويستطرد أحياناً فيذكر معاني متوافرة في اللغة فيقول: "ومنه يقال السلام عليكم، يراد: اسم السلام عليكم، كما يقال اسم الله عليكم... ويسمى الصواب من القول سلاماً لأنه سلم من العيب والإثم"[1].

ويتطرّق أحياناً لبيان بناء الاسم ووزنه، فيقول: "ومن صفاته قدوس، وهو حرف مبني على فعول، من القدس، وهو الطهارة"[2]، وكذلك اسم: "المهيمن وهو الشهيد فيشير إلى ... لأن أهل النظر من أصحاب اللغة يرون أن مهيمناً اسم مبني من آمن، كما بني بيطر من مبيطر وبيطار من بطر"[3].

وإذا كان الاسم مما يجوز إطلاقه على الخَلْق من أسماء الذات العلية، فإنه يذكره مستوعباً ما جاء في لسان العرب، ويستقصى أساسها اللغوي توضيحاً وشرحاً لمدلوله، كما في اسم الرب فيقول: "ومن صفاته الرب، والرب المالك، يقال: هذا رب الدار، ورب الضيعة، ورب الغلام: أي مالكه قال الله سبحانه: ﴿ارجع إلى ربك﴾ (يوسف: ٥٠)، أي سَيِّدك، ولا يقال لمخلوق هذا الرب معرفاً بالألف واللام، كما يقال الله، إنما يقال: هذا رب كذا، فيعَرَّف بالإضافة، لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل الرب دلّتْ الألف واللام على معنى العموم..."[4].

ففرَّق بين دلالة اللفظ بناء على التعريف والتنكير ليدلل على أنه بالتعريف لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٧.

(٢) السابق، ص٨.

(٣) السابق، ص١١.

(٤) السابق، ص٩.

وعقد باباً لاشتقاق أسماء الذات المقدسة[1]. وذكر أوزانها وما جاء على صيغتها الصرفية كفعيل بمعنى فاعل، وفعيل بمعنى مُفْعِل، وفعول. ثم عطف على ما أضيف إلى الله مثل: كبرياء الله، جَدُّ الله، ومجد الله، وفضل الله، وحمد الله[2].

ونفذ من خلال منهج الاختصار إلى الإشارة إلى حروف تكرر حضورها في القرآن الكريم، فعقد لها باباً واستوعب حروفاً كثيرة[3] كالجن، والإنس، والثقلان، والملائكة، وإبليس والشيطان، والشرك، واللعن، والجحد، والظلم، والفسق، والنفاق، والكفر، والبهتان، والفجور، والتزكية، وغيرها.

ويرى الباحث أن ذلك يُعَدُّ من مناقب كتابه وطريقته المنظمة التي قامت على الترتيب تحاشياً للتكرار، والإحالة على مواطنها كلما ذكرت في السور والآيات، ففي حديثه عن الجن يقول: "الجن من الاجتنان، وهو الاستتار، يقال للدرع جُنَّة، لأنها سترت، ويقال: أجنَّهُ الليل أي: جعله من سواده في جُنَة، وجَنَّ عليه الليل، وإنما سموا جِناً لاستتارهم عن أبصار الإنس"[4]. وتابع الطريق نفسها في باقي الحروف[5] ثم تطرق بعد ذلك إلى معنى السورة، والآية، والمثاني، والمفصل، وآل حميم[6].

ويلْحَظُ الحرف إذا كان من الألفاظ التي أدخلها الإسلام، أو طوَّرَ معناها وبلور مصطلحها، فكأنه ينظر إلى تاريخ اللفظ وشيوع استخدامه بعد نزول القرآن

---

(١) انظر غريب القرآن، ص٦-١٨.

(٢) السابق، ص١٨-١٩.

(٣) السابق، ص٢١.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق، ص٢١-٣٣.

(٦) السابق، ص٣٣-٣٧.

الكريم، كلفظ النفاق فيقول: "والنفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جُحْر من حجرته، يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه... والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه"[1]. ويتابع اللفظ وما جرى عليه من دلالات جديدة بعد نزول القرآن الكريم[2] وبعد شيوع الإسلام.

وينظر إلى اللفظ أو الحرف في سياقه كيف تحول معناه وتطور إلى معانٍ ذات آفاق جديدة من خلال سوقها، وموضعها في النص، أو الجملة، فيقول حين يعرض للفظ السلطان: "السلطان المُلْك والقَهْر، فإذا لم يكن ملك وقهر، فهو بمعنى حجة وبرهان"، كقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ (هود: ٩٦)، أو كقوله: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ (الصافات: ١٥٦)[3]، ففرق بين اللفظ من خلال السياق ومكانه فيه، أو الجملة التي وقع فيها اللفظ، ويدعمها بشواهد من القرآن نفسه، ليبين أن اللفظ يجب أن يؤخذ معناه من خلال سياقه الذي ورد فيه. فإذا أُطلقَ فهو بمعنى القهر والملك، وإذا قُيِّد بسياق فإنما يعني الحجة والبرهان. وكذلك فعل في لفظ الجهل، من قوله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء﴾ (البقرة: ٢٧٣)، فإنه لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما جهل الخبرة والمعرفة[4].

ويركز أحياناً على احتمالية المعنى، وتطور استخدامه إلى معان متعددة ليخرج إلى المعنى المُراد، وهو واحد مع احتمالية غيره، فيقول: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ (الدخان: ١٠)، أي بِجَدْب، يُقال إن الجائع فيه كان يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، ويقال: "بل قيل للجوع دُخان، ليبس الأرض في سنة

---

(١) غريب القرآن، ص٢٩، وانظر ص٣٤ في تفريقه بين السورة بالهمز وغيرها لأنها ارتبطت بالقرآن الكريم.

(٢) انظر موقع الحضارية، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن، د. يونس حمش خلف www.ALHADHARIYA.

(٣) تفسير غريب القرآن، ص٣٢.

(٤) السابق، ص٩٨.

الجدب..."[1]، وكذلك فعل في لفظ الظن[2]، وفي قوله تعالى: ﴿عرفها لهم﴾ (محمد: ٦)[3]، وقوله تعالى: ﴿سحر مستمر﴾ (القمر: ٢)[4].

ولا يظن أنه فعل ذلك إلا لتعدد المعاني لدى المفسرين السابقين له، أو المعاصرين، فنقل عن ابن عباس وغيره من المفسرين السابقين، لكن الطبري وهو من معاصريه فإنه يذكر تعدد المعنى في اللفظ ثم يرجح أحدهما بقوله: "وأولى الأقوال بالصواب هو كذا"[5]، وهي طريقة متبعة عند الطبري في كتابه جامع البيان عن تأويل القرآن، المعروف "بتفسير الطبري"، ولعله تأثر بابن قتيبة في طريقته بالإشارة إلى الأقرب للصواب فيقول ابن قتيبة: "أي قرية أصحاب السبت، نكالاً، أي عبرة لما بين يديها من القرى، وما خلفها ليتعظوا بها، ويقال لما بين يديها من ذنوبهم، وما خلفها من صيدهم الحيتان في السبت، وهي قول قتادة، والأول أعجب إلي"[6].

وإذا تبين له معنى ذهب إليه بعض المفسرين خطأ، أشار إليه ووضحه مما علم من كلام العرب، وصوَّبه، فيقول في لفظ صفراء، من قوله تعالى: ﴿صفراء فاقع لونها﴾ (البقرة:٦٩)، "وقد ذهب قوم إلى أن الصفراء، السوداء، وهذا غلط في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر أي أسود...، مما

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٤٠٢.

(٢) السابق، ص٤٠٦.

(٣) السابق، ص٤٠٩.

(٤) السابق، ص٤٣١.

(٥) انظر: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود شاكر، ٢٥٠/٩، دار إحياء التراث العربي، في تفسيره لقوله تعالى: (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) (الأنفال: ٢٣)، وانظر ٩٥/١٠ الآية (٧) سورة التوبة.

(٦) تفسير غريب القرآن، ص٥٢، وانظر، ص٢٦٤، ص٣٢٨، ص٤٢٨، ص٥٢٠، في إيراده الجملة نفسها في ترجيحه القول الأصوب والأقرب.

يدلل على أنه أراد الصفرة بعينها قوله: فاقع لونها، والعرب لا تقول: أسود فاقع فيما أعلم، وإنما تقول: أسود حالك، وأحمر قاني، وأصفر فاقع"[1].

وظهرت بذلك شخصيته، عندما رد هذا المعنى، مصوباً له بناء على ما علمه من كلام العرب في وصف الألوان، لكنه استدرك متواضعاً حتى لا يقطع بالأمر، بل حسب ظنه ومنتهى علمه حتى لا تؤخذ عليه، وهذا منهج العلماء على الرغم من غلبة ظنهم، لكنهم يستدركون خوفاً من الخطأ والمأخذ.

ويشير إلى أصل الفعل، أو اللفظ في استخدامه في معانٍ متقاربة، ففي قوله تعالى: ﴿أُهِلَّ لغير الله﴾ (المائدة: ٣)، يقول: "أي ذُبح لغير الله، وذكر عند ذبحه غير اسم الله"[2]. واستهلال الصبي منه، أي صوته، وإهلال الحج منه، أي التكلم بإيجابه والتلبية، فربط بين معنى الإهلال أصلاً أنه رفع الصوت والذكر، وكلها ترجع إلى معنى رفع الصوت، وارتفاعه عند أمر محدد، سواءً أكان من الصبي، أم الحاج عند التلبية، أم الذبح، ويتبع المنهج نفسه عند لفظ المتردية، والجوارح[3].

ويرجح أحياناً معنى على آخر بناء على شواهد من الآيات، أو الحديث، أو كلام العرب كونه أولى بالصواب، ففي قوله تعالى: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم: ٩) يقول: "أي قدر قوسين عربيين، وقال قوم القوس: الذراع أي كان ما بينهما قدر ذراعين، والتفسير الأول أعجب إلي، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٥٣.

(٢) السابق، ص١٤٠.

(٣) السابق، ص١٤٠، ١٤١.

(لقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قده، خير من الدنيا وما فيها)[1]، والقد، السوط"[2].

ويُلحظ اعتماده على اللغة أساساً، لأن العرب لا تعرف إلا القوس المعلوم لديها، ثم أسند ذلك بحديث شريف، ليدعم رأيه وما يذهب إليه، مما أطلقه العرب على أدواتهم.

وبالطريقة نفسها يعرض للفظ التسنيم، من قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ (المطففين: ٢٧) فيقول[3]: "أي من علوٍّ، وأصل هذا من سنام البعير، ومنه تسنيم القبور، وهذا أعجب إليّ، لقول المسيب بن علس في وصف امرأة:

كأَنَّ بريقَتِها للْمَزا ... جِ من ثَلْج تَسْنيمٍ شِيبَتْ عَقَارا

يريد جبلاً"

ويلمس عند ابن قتيبة تفاعل بالآية حتى ينفذ إلى عمق الفهم، من خلال تركيزه الشديد على الصورة أين هي؟ وماذا تريد أن تستجلب من النظر؟ فتحدَّث عن وصف الجنة، قائلاً[4]: "ذهب إلى شجرها لا إلى أرضها، لأن الأنهار تجري تحته الشجر".

وتلك لفتة تبدي تفاعله مع الآيات، ولعلّ مَنْ دقق النظر واستوعب الصورة بكامل جزئياتها أين تريد أن تقف المتلقي؟ يراها كما ذكر ابن قتيبة: أن الأنهار

---

(١) البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، حديث رقم ٢٧٩٣، كتاب الجهاد والسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٤٢٨.

(٣) السابق، ص٥٢٠، لم أعثر على البيت في ديوان المسيب بن علس، ولا في كتب الأدب والمعاجم على الرغم من إشارة ابن قتيبة إلى أنه من شعر المسيب، انظر: شعر المسيب بن علي، تحقيق د. أنور أبو سويلم، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٤م، ط (١) ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(٤) السابق، ص٤٣.

تجري تحت الشجر لتكون أمتع في التصوير والتلوين. ويبدو أن ابن قتيبة أفاد تلك النظرة، وتدقيق الصورة من الفراء في كتاب معاني القرآن حين يقول: ذهب إلى كذا[١]. وتراه كذلك يدقق النظر في الآية ليميز بين اللفظ المضعف وغيره، بناء على الوزن والصيغة، فيقول في قوله تعالى: ﴿يضاعفها ويؤت من لدنه﴾ (النساء: ٤٠). "أي يؤت مثلها مرات، ولو قال يضعّفها لكان مرة واحدة"[٢] ففرق بينها بناء على الوزن والصيغة.

وإذا كانت الألفاظ مترادفة أو قريبة المعنى، أو متساوية في الاستخدام، فإنه يأتي بها جميعاً في موضع واحد فيقول[٣]: النقير، النقطة من النواة... الفتيل، القشرة في بطن النواة، القطمير الفوقة التي تكون فيها النواة". ويقول عند قوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ (النساء: ١٠٣)[٤]. "أي موقتاً يقال وقته الله عليهم، ووقته أي جعله لأوقات، ومنه: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ (المرسلات: ١١)، ووقتت أيضاً مخففة".

وهو بذلك يتبع طريقة تتبع اللفظ وجذره وأبنيته في القرآن الكريم، ليستقصي معانيها وجوانبها، وعلى أي الوجوه وردت، وهي طريقة سبق بها المعاصرين، والمحدثين في التفسير الموضوعي[٥]، وهي تتبع اللفظ، أو ما يخصه من معنى في الموضوع الواحد، أين ورد في القرآن الكريم.

---

(١) انظر: الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف، ٢١٤/١، دار السرور، بيروت، يقول: يذهب إلى الطين فينفخ فيها، ذهب إلى الهيئة، وكذلك انظر ٤٩/١ في تذكير من: (وإن من الحجارة) (البقرة: ٧٣).

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٢٧.

(٣) السابق، ص١٢٩.

(٤) السابق، ص١٣٥.

(٥) انظر الخالدي: صلاح عبدالفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص٢٩، دار النفائس – الأردن، ط (١)، ١٩٩٧م.

ويلمس في بعض جوانب تفسيره أنه منصب على ظاهر اللفظ، لا يجاوزه إلى أبعد منه، ربما ليكون قريب الفهم والإدراك لدى العامَّة، والمتلقين، فتناول اللفظ في مواضع من كتابه كالآتي:[1]

- ومن لم يستطع منكم طولاً: أي لم يجد سعة.
- أن ينكح المحصنات: يعنى الحرائر.
- فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات: يعني الإماء.
- وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات: عفائف.
- غير مسافحات: غير زوان.
- ولا متخذات أخدان: أي متخذات أصدقاء. (النساء: ٢٥).

ويبدو أنه أفاد هذه الطريقة من أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن، إذ أعجب بها وسار عليها وسلك مسلكها فيقول أبو عبيدة[2]:

- وإذا قالت الملائكة: مثل قالت الملائكة.
- من أنباء الغيب: من أخبار الغيب ما غاب عنك.
- وما كنت لديهم: أي عندهم.
- أقلامهم: قداحهم.
- يكفل: يضم. (آل عمران: ٤٢-٤٤)

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص١٢٤، وانظر ص٢٥١، ص٢٥٩، ص٢٦٢، ص٢٧٠، ص٤٠٣، وفي مواضع شتى من كتابه.

(٢) التيمي: أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ٩٣/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٢)، ١٩٨١م، وانظر: ١٢٠/١، ١٨٥، وهي طريقة اتبعها أبو عبيدة.

ويرقب ابن قتيبة السياق أحياناً أين ينتهي به المعنى، وأين يتم به الكلام، وهو ما أصطلح عليه علماء القراءات والتجويد، بالوقف والابتداء، ومواطن الاستئناف[١]، ففي قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم﴾ (البقرة: ٧). يقول: "بمنزلة طبع الله عليها، والخاتم بمنزلة الطابع، وإنما أراد أنه أقفل عليها وأغلقها... ثم قال عز وجل: وعلى أبصارهم غشاوة، ابتداء، وتمام الكلام الأول، عند قوله: وعلى سمعهم"[٢]. فتدل هذه اللفتة على أنه على علم بمواطن القراءة، ومصطلح القراء، ومواطن الوقف والابتداء[٣] في كتاب الله.

وإذا كان اللفظ يحمل ضداً في المعنى، أو معاني مختلفة، فإنه يشير إلى ذلك ويوضحه، أو يقرنه بما شابهه، ويبين المعنى المضاد، فيقول في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ (البقرة: ٢٠٧)، "أي يبيعها، يقال شريت الشيء إذا بعته، واشتريته، وهو من الأضداد"[٤].

ويطيل الشرح والتعليق في لفظ القرء، أهو الحيض أم الطهر، ويستعين على ذلك بما جاء في الحديث الشريف، فيقول[٥]: "وهي الحيض، وهي الأطهار أيضاً، واحدها قرء، ويجمع على أقراء أيضاً... وقال النبي صلى الله عليه وسلم، في المستحاضة: (تقعد عن الصلاة أيام قرئها)[٦] يريد أيام حيضها... وإن جعل

---

(١) انظر الأشموني: أحمد بن محمد بن عبدالكريم، منار الهدى في معرفة الوقف والابتداء، ص٣٢، مكتبة الحلبي، مصر (١)، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٤٠.

(٣) انظر الجريسي: محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، تحقيق: محمود حسين الزهيري، ص٢٠٩، دار الجنان، ط (١) ٢٠٠٩م.

(٤) تفسير غريب القرآن، ص٨٠-٨١.

(٥) السابق، ص٨٦-٨٧.

(٦) الترمذي: أبو يحيى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاكر، رقم ١٢٦، ٢٢٠/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحيض قرأ، والطهر قرأ، لأن أصل القرء في كلام العرب: الوقت". فهو ينظر إلى اللفظ في أساسه عند العرب، وكيف استخدم، ثم يوضح إن كان من الأضداد أو مما تساوى استخدامه في أصل اللغة والوضع.

والذي يظهر على تفسير غريب القرآن، أنه يتناول الألفاظ في سياقها وفي موضعها غالباً من خلال تركيبها، ولا يتناولها مفردة إلا في مواطن قليلة، فيورد الجملة أصلاً، ثم يأخذ الغريب، أو غير المفهوم ليوضحه، وليس كما يفعل المفسرون، فهو ليس تفسيراً بالمصطلح، وليس معجماً لمعاني المفردات في الوقت نفسه، بل هو بين هذا وذاك، اختصاراً غالباً وشرحاً في النزر اليسير منه، وانظر في كتابه تناوله للتراكيب: الله يتوفى الأنفس، يوم النفخ في الصور، ص٢٤-٢٥، إقامة الصلاة، ص٣١، شعائر الله، ص٣٢، فما أصبرهم على النار، ص٦٩[1] وكذلك جرى في معظم كتابه على هذا النسق.

ويبدو أنه يشير إلى تداخل اللفظ من خلال المعنى، وسبل استخدامه في كلام العرب، ففي قوله تعالى: ﴿بطائنها من إستبرق﴾(الرحمن: ٥٤)، يقول: "قال الفراء قد تكون البطانة ظهارة، والظهارة بطانة، وذلك أن كلَّ واحد منهما قد يكون وجهاً، تقول العرب: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، لظهرها الذي نراه... وهذا من عجب التفسير، كيف تكون البطانة ظهارة، والظهارة بطانة"[2]. ويطيل الوقوف عندها كثيراً ويورد الأقوال، والأحاديث ليوضح ما خفي منها وما غاب عن المتلقين.

---

(١) وانظر ص١٢٦، ١٢٧، ٢٧٧.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٤٤١.

شكلت القضايا اللغوية والصرفية، الأساس الذي قام عليها كتاب ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، فالعنوان دال بذاته على موضوعه، فتفسير الغريب أساساً يقوم على اللغة، ومراميها، ودلالاتها، وكونه قصد الغريب، فلا بدَّ أن يكون عمله منصبّاً على اللغة وتصاريفها، لذلك يلحظ أنه يثير قضايا لغوية، ويحلل اللفظ إلى ما يحتمله من معانٍ أو لغات، وكثيراً ما يورد وزن اللفظ وميزانه وبناءه. فيقول في بعض أسماء الله سبحانه[1]: "الودود، وفيه قولان، هو فعول بمعنى مَفعول، كما يقال: رجل هيوب أي مهيب، يراد به مودود، ويقال هو فعول بمعنى فاعل، كقولك، غفور بمعنى غافر، أي يود عباده الصالحين". فأورد الوزن والتصريف خدمة لمراده من التوضيح والشرح والتفسير.

ولَحَظ أن كثيراً من الصفات ما جاء على وزن واحد، جامعاً لها في نسق واحد، فيقول[2]: "ومن صفاته ما جاء على فعيل بمعنى فاعل، نحو قدير بمعنى قادر... ومن صفاته ما جاء على فعيل، ما يكون منها غير لفظها، نحو: قريب، وجليل..." ولا يظن أنه فعل ذلك إلا ليجمع تلك الصفات في باب واحد، من خلال أوزانها، وإلى ما يؤول معناها، إبرازاً لدلالتها، واختصاراً لما شرطه على نفسه في المقدمة، وتسهيلاً، ثم بُعْداً عن التكرار والتطويل والملل.

أما حروف القرآن الكريم، وما في ثنايا الآيات من ألفاظ، فإنه يشير إلى أصل اللفظ، إن جرى عليه إدغام، أو إبدال، أو غير ذلك، موضحاً أساسها الذي بنيت عليه، فيقول[3]:﴿فادارأتم فيها﴾ (البقرة: ٧٢)، "اختلفتم، والأصل تدارأتم،

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص١٨.

(٢) السابق، ص١٦-١٧.

(٣) السابق، ص٥٤.

فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون للدال الأولى". فبين ما جرى على اللفظ من خلال الاستخدام والسهولة، على عادة العرب في جريها نحو السهولة في كلامها ومنطقها. وقال في قوله تعالى[1]:﴿لا تضارّ والدة بولدها﴾ (البقرة: ٢٣٣). "بمعنى لا تضارر، ثم أدغم الراء في الراء". ويلحظ ذلك في مواطن عدة من كتابه[2]. ولعله أراد بذلك أن يقف القارئ على أساس اللفظ، إبعاداً للبس والغموض في بعضها، وهي عناية واضحة واطلاع على اللغة واضح.

ويرقب ابن قتيبة تبادل الحروف في أماكنها، فيقول في لفظ، مكة، وبكة، من قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾ (آل عمران: ٩٦)[3]: "بكة ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم، يقال سمّد رأسه، وسبّده إذا استأصله، وشر لازم، ولازب، ويقال: بكة موضع المسجد، ومكة: البلد الحرام". فذكر اللفظ، ثم جاء بما يشبهه من اللغة، ومثل به، ثم فرق بينهما من حيث المعنى، وهي إشارة جميلة لتبادل الحروف. وفَتْح آفاقٍ جديدة في المعنى، وهذا التفريق من حيث تبادل الحروف، لم يُشِرْ إليه أبو عبيدة، ولا الفراء في كتابيهما[4]، إلا أن هذا التفريق والتوضيح لم يرق للطبري، فأنكره، وبيّن فساد أصله[5].

ويتابع ابن قتيبة تبادل الحروف في عدة مواطن من كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾(آل عمران: ١٢٧)، فيلحظ إبدال التاء، وانقلابها إلى دال عند أهل النظر، ويدلل على ذلك بالشعر، وقول العرب، ثم

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٨٩.

(٢) السابق، ص١٦٧، ١٨٦.

(٣) السابق، ص١٠٧.

(٤) انظر مجاز القرآن، ص٩٧، ومعاني القرآن، ص٢٢٧.

(٥) انظر تفسير الطبري، ١٥/٤.

يقول[1]: "التاء والدال متقاربتا المخرجين، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولك: هرت الثوب وهرده إذا خرقه. كذلك كبت العدو وكبده ومثله كثير".

وإذا كان الفعل من ذوات الياء، أو الواو، نبَّه وبيَّن، وإن احتمل الاثنين عند العرب، أشار إليه، كما في قوله تعالى: ﴿أو متحيزاً إلى فئة﴾(الأنفال: ١٦) فيقول[2]: "تحوزت، وتحيزت بالياء والواو، وهما من (انحزت)". وإن كان اللفظ مستخدماً على حرفين أشار إليه، وأرجع القارئ إلى كتابه المشكل للازدياد من البيان والمعرفة، فيقول[3] في قوله تعالى: ﴿رجز الشيطان﴾(الأنفال: ١١): "الرجز والرجس يتعرفان على معان، قد ذكرتهما في كتاب المشكل". وعقد لها فصلاً أو باباً في كتاب المشكل مبيناً معانيها واستخداماتها[4].

وإذا كان تبادل الحروف مما يؤثر في المعنى، أو يتحول إلى معان أخرى، مما استخدمته العرب، أشار إليه، وإن كان الاختلاف يسيراً، كلفظ النقيب، من قوله تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً﴾ (المائدة: ١٢)، فيقول[5]: "والنقابة، والنكاية، شبه بالعرافة" ولعله اختلاف لدى العرب في لهجاتها، ناشئ من ناحية الجرس الصوتي، أو طبيعة الصوت نطقاً، كما في قوله تعالى: ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ (المائدة: ١٣). فيقول في تبادل الحروف صوتاً[6]: "القاسية والعاسية والعاتية واحد وهي اليابسة" فالاختلاف صوتياً من جراء جرس الصوت وطنينه.

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص١١١.

(٢) السابق، ص١٧٨.

(٣) السابق، ص١٧٧.

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن، ص٤٧١، المكتبة العلمية ط (٣)، ١٩٨١م.

(٥) تفسير غريب القرآن، ص١٤١.

(٦) السابق، ص١٤٢.

وينفذ من خلال ذلك إلى تعدد اللغات في اللفظ، ففي قوله تعالى: ﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾ (النساء: ٢). يقول[١]: "وفيه ثلاث لغات: حُوب، وحَوب، وحاب"، وكذلك قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ (النساء: ٤) يقول[٢]: "يعني المهور، واحدها صَدُقة، وفي لغة أخرى: صُدْقة". هذا على مستوى اختلاف اللغة أما ما يتبعه أثر في المعنى، من خلال اختلاف اللغة فإنه يوضحه، كما في قوله تعالى: ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ (النساء: ١٩) يقول[٣]: "الكَرْه ههنا بمعنى الإكراه والقهر، فأما الكره بالضم فبمعنى المشقة... ولا يقال طوعاً أو كرهاً بالضم" ففرق بينهما خشية الوقوع في الخطأ، وبين مواطن الاستخدام، وضبط اللفظ المناسب للمعنى الموافق له، وتلك ميزة لابن قتيبة في إبراز مثل تلك المعاني، والاختلاف المعنوي المبني على اختلاف صورة اللفظ[٤].

الشواهد الشعرية

تشكل الشواهد الشعرية مرتكزاً لابن قتيبة في ترجيح ما يذهب إليه، أو توضيح لفظ أشكل من خلال سياقه، فيستعين بالشاهد الشعري زيادة في البيان، ففي قوله تعالى: ﴿بيت طائفة منهم﴾ (النساء: ٨١) يقول[٥]: "أي قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوك نهاراً"، قال الشاعر[٦]:

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص١١٨.

(٢) السابق، ص١١٩.

(٣) السابق، ص١٢٢.

(٤) انظر في القضايا اللغوية والصرفية ص٥١، ١١٥، ١٥٦، ١٧٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٩٦، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٩٣.

(٥) تفسير غريب القرآن، ص١٣١.

(٦) ديوان الأسود بن يعفور، صنعة نوري حمودي القيسي، ص٦٧، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٦٨م.

أَتَـــوْني فَلَـــمْ أرضَ مـــا بيَّتُـــوا وكـــانوا أَتَـــوْني بشـــيءٍ نُكُـــرْ

والعرب تقول هذا أمر قُدِّر بليل، وفُرِغ منه بليل، ومنه قول الحارث بن حلزة:[1]

أَجْمَعُـــوا أَمْـــرَهُم عِشـــاءً فلمَّـــا أَصْـبَحُوا أَصْـبَحتْ لَهُـمْ ضَوْضـاءُ

وقال بعضهم: بيت طائفة، أي بدل، وأنشد:[2]

وَبيَّـــتَ قَـــوْلي عَبْـــدَ المَلِيـــ ـــكِ قاتَلَـــكَ اللـــهُ عَبْـــداً كَفُـــوراً

وهذه منهجية اتبعها أبو عبيدة، والفراء، كلهم يفزع إلى الشعر لتأييد مذهبه ورأيه[3].

ويورد الشاهد الشعري أحياناً لإثبات لفظ مفرد، أو تقريب معناه فيقول: في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ (الأنفال:١)[4]: "واحدها نفل"، قال لبيد:

إن تَقْـــوَى ربّنـــا خَيْـــرُ نَفَـــلْ وبـــإذنِ اللـــه رَيْثِـــي وعَجَـــلْ

وقد يورده لإثبات لغة أو لهجة[5] فيقول في قوله تعالى: ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ (الأنفال: ٥٧) سمع بهم، بلغة قريش، قال الشاعر:

---

(١) الزوزني: أبو عبدالله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، ص٢٣١، دار المعرفة، ط (٣) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، بيروت – لبنان.

(٢) البيت ذكره الطبري للأسود بن عامر الطائي، تفسير الطبري ١٩١/٩.

(٣) انظر مجاز القرآن، ١٥٨/١/١٦٠، ٢٠٧، ٢٣٥، ومعاني القرآن، ٢١٢/١، ٢١٧، ٢٣٠.

(٤) تفسير غريب القرآن، ص١٧٧، البيت للبيد، شعر لبيد بين الجاهلية والإسلام، د. زكريا صيام، ص٩٩، ط (٢).

(٥) المرجع السابق، ص١٨٠، والبيت في لسان العرب غير منسوب، مادة شرد، ٢٣٧/٣.

أطَــــوِّفُ بالأَبـــــاطِحِ كُـــــلَّ يَــــوْم   مَخَافَــــةَ أَنْ يُشَــــرِّدَ بِــــي حَكـــــيمُ

وكما في قوله تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ (محمد: ٤)، يقول[١]: "أي يضع أهل الحرب السلاح"، قال الأعشى:

وأَعْــــــدَدْتُ لِلْحَــــــرْبِ أَوْزَارَهــــــا   رِماحـــاً طِــــوالاً وَخْــــيلاً ذُكُــــورا
ومِـــــنْ نَسْــــجِ داودَ يحـــدى بهـــا   علـــى أثـــر الحـــيِّ عِيـــراً فَعِيـــرا

وفي قوله تعالى: ﴿**ريب المنون**﴾ (الطور: ٣٠) يقول[٢]: المنون الدهر، قال أبو ذؤيب:

أَمِــــنَ المَنُــــونِ وَرِيْبِهــــا تَتَوَجَّـــعُ   والــدَّهْرُ لــيس بمُعْتــبٍ مَــنْ يَجْــزَعُ

ويستعين بالشاهد الشعري، ليدلل على أن الأسلوب والتركيب في الجملة مما استخدمته العرب في كلامها، ففي قوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ (التوبة: ٧٤) يقول[٣]: وهذا كقول الشاعر:

ومـــا نَقَــمَ النَّـــاسُ مـــنْ أُميـــة إلا   أنهـــــم يَحْلُمــــون إنْ غَضِـــــبوا

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٤٠٩، والبيت في ديوان الأعشى، شرح د. محمد محمد حسين، ص١٣٥، المكتب الشرقي، بيروت.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٥، والبيت لأبي ذؤيب، جمهرة أشعار العرب، القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، تحقيق: علي البجاوي، ص٥٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٠. والأبيات الأولى لعبيد الله بن قيس الرقيات، ديوانه، تحقيق د.محمد يوسف نجم، ص٤، دار صادر، بيروت ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

والبيت الأخير للنابغة الذبياني، شرح ديوان النابغة الذبياني، ص١٠، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

وأَنَّهـــم ســـادةُ الملـــوكِ فـــلا تَصْـــلُح إلاَّ علـــيهِمُ العَـــرَبُ

..... وكقول النابغة:

ولا عَيْـبَ فِـيهم غَيْـرَ أَنَّ سُـيُوفهم بهـنَّ فُلـولٌ مـنْ قِـرَاعِ الكَتَائِـبِ

وفي اشتقاق أسماء الله الحسنى، تراه يستشهد بالشعر، ففي حديثه عن اسم السلام يقول[1]:

قال الشاعر:

تُحيِّـــي بالســـلامَةِ أُمُّ بَكْـــرٍ فَهَـلْ لـك بعـد قَوْمـك مِـنْ سَـلامِ

وقد بين ذلك لبيد، فقال:

إلـى الحَـوْل ثـم اسـمُ السَّـلامِ عليْكُمـا ومَـنْ يَبْـكِ حَـولاً كـاملاً فَقَـد أَعْتَـذَر

وظهر في كتابه عناية واضحة بالشعر، واستشهاده به، في مواضع عدة، مما يدلل على أنه كان يلجأ إليه ليوضح منهجه، ويؤيد ما يذهب إليه[2].

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٦-٧، والبيت الأول في لسان العرب غير منسوب، مادة سلم، ٢٨٩/١٢، والثاني للبيد، خزانة الأدب، البغدادي: عبدالقادر بن عمر، ٢١٧/٢، دار صادر، بيروت.

(٢) انظـر استشـهاده بالشـعر، ص٨، ١٣، ١٤، ٥٣، ١٣٣، ١٧٩، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٧٣، ٤٣٥، ٤٦٨، ٥٠٩، ٥١٩، ومواطن غيرها كثير.

يتكئُ ابن قتيبة على الحديث الشريف، في مواطن عدة من كتابه، تأكيداً للمعنى المراد وتوضيحاً لما قد لا يفهم من الآية، فيشرحها بإيراد الحديث، إن كان ذلك يزيل الإشكال والغموض، فيقول[1]: "هو مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم[2] : (فمَنْ قَضيْتُ له بشيءٍ مِنْ حَقِّ أَخيه فلا يأْخُذْه، فإنَّما أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّار)". فجاء بالحديث لتوضيح معنى قوله تعالى: ﴿وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس﴾ (البقرة: ١٨٨). وليزيل الإشكال في دفع المال لأجل الظلم وأخذ ما ليس له به حق. وكما في لفظ الخلاق، من قوله تعالى: ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ (البقرة: ١٠٢)، فإنه أورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم[3]: (لَيُؤَيِّدَنَّ اللهُ هذا الدين بِقَوْمٍ لا خَلاقَ لَهُمْ) أي لا حظَّ.

ويعوَّل على الحديث في لفظ بور من قوله تعالى: ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ (الفرقان: ١٨) ليؤكد معنى البور، وهو الهلاك، أو المرغوب عنه، فيقول[4]: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتَعوَّذُ بالله مِنْ بَوارِ الأيِّم".

وفي قوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ (الأنعام: ١٤) يذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم[5]: (كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَة) أي ابتداء الخلق.

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٧٥.

(٢) الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، رقم: ٦٩٦٧، كتاب الحيل، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً دار الكتب العلمية، ط (١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣) تفسير غريب القرآن، ص٥٩، والحديث ذكره الطبري في تفسيره، ٥٣٦/١.

(٤) المرجع السابق، ص٣١١، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير مجد الدين أبو السعدات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ١٦١/١، دار إحياء التراث، بيروت.

(٥) المرجع السابق، ص١٥١، والحديث رواية البخاري، رقم : ١٣٨٥، كتاب الجنائز .

ويوازن في المعنى بناء على الحديث الشريف، ليؤكد ما يذهب إليه، ففي قوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها﴾ (الواقعة: ١٩)،[١] يقول: "ولا أراه إلا من الصداع الذي يعتري شراب الخمر في الدنيا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم – في وصف الجنة – (وأَنْهارٍ مِنْ كَأْسٍ ما إنْ بها صداعٍ ولا نَدَامةٍ)".

وكما في قوله تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾(الواقعة: ٢٨) يقول[٢]: "أي لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه أي قطع، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم – في المدينة –: (لا يُخْضَدُ شَوْكُها، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها)".

واستعانته بالحديث في توضيح، أو تأييد ما يذهب إليه، في كتابه تشكل حضوراً[٣] واضحاً، لا سيما أنه وضع كتاباً في غريب الحديث، وكأنه لمّا وضع كتاباً في تفسير غريب القرآن، رأى أن الحديث كذلك يكثر فيه الغريب. ولما كان الحديث الشريف المرجع الثاني في التشريع، وكانت الآيات ربما يفسرها ما يرد من أحاديث تحوى اللفظ نفسه الذي في القرآن الكريم، فإن استشهاده بالحديث الشريف، كان من باب الرجوع إلى مصدرين عظيمين في اللغة والألفاظ. ويلحظ أنه يورد الحديث أحياناً مجزأ، ولا يأتي بالحديث كاملاً، لأنه يريد الجزئية التي تحوي اللفظ، أو تشرح غريبه. وتلك تشكل روافد من ثقافته، واطلاعه على الحديث، وأشعار العرب حينما تصدى لموضوع غريب القرآن الكريم.

القراءات القرآنية

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٤٤٧، والحديث في مسند الإمام أحمد رقم: ٢٥/١٦١٨٧، ٢٠/٤ من كأس ما بها من صداع، إشراف: د. سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، ط (١)، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق نفسه، والحديث من رواية البخاري رقم: ١٥٨٧، كتاب الحج لا يعضد شوكه، والنهاية لابن الأثير، ٣٩/٢.

(٣) انظر استعانته بالحديث ص٧٢، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١١٩، ١٢٢، ١٧٠، ٢٠٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٠٧، ٣٥١، ٣٨٩، ٤٢٧، ٤٤٢، ٥٠٦، وغيرها كثير.

أورد ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن، بعض أوجه القراءات القرآنية، إلا أنها مختصرة غير مفصلة، كلها تتمحور حول اختلاف اللغة، أو اللهجة، إشارة إلى توافق القراءتين في الدلالة على معنى، أو فهم فوق فهم، ليفتح آفاقاً جديدة في المعنى والتفسير، كما في قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾(التكوير: ٢٤)[١] بالضاد والظاء، فتكون بالظاء بمعنى متهم بما يخبر به، وبالضاد بمعنى البخل، ليس بخيلاً في ما ينفعكم. وكلا القراءتين متواتر عند علماء القراءات والقراء، ومشهورة عند قراء الأمصار[٢]، ولكلٍ وجه في التفسير وهو ما أشار إليه في مكانه.

ومن إشارته إلى القراءات، نظر إلى اختلاف القراءتين، بزيادة حرف، أو نقصه، كما في قوله تعالى: ﴿عين حمئة﴾(الكهف: ٨٦)، فإنها تقرأ حامية، أراد حارة[٣]، وقد أشار إلى قراءتها ابن الجزري[٤] من قراءة نافع، وابن كثير، والبصريان، وحفص، بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء، وقرأ الباقون بالألف، وفتح الياء من غير همز، لكن ابن قتيبة، لم يوردها إيراد الناقل بل وضح معنى الاثنتين فقال[٥]: "ذات حمأة، ومن قرأ: حامية، أراد حارة" واستشهد على أحد المعنيين ببيت من الشعر موضحاً معناها ومؤكداً قرب المعنيين من روح الآية، فقال:[٦]

قال الشاعر يذكر ذا القرنين:

فَأَتَى مَغيبَ الشَّمْسِ عنْدَ مآبِهَا في عَيْنِ خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْقَدِ

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٥١٧.

(٢) انظر، الجزري: أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ٣٩٨/٢. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) تفسير غريب القرآن، ص٢٧٠.

(٤) النشر في القراءات العشر، ٣١٤/٢.

(٥) تفسير غريب القرآن، ص٢٧٠.

(٦) المرجع السابق، ص٢٧٠، والبيت، نسب في اللسان لأمية بن أبي الصلت، ٣٦٥/١ مادة خلب، بنص:

فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

وذكر في قوله تعالى: ﴿كيف ننشزها﴾(البقرة: ٢٥٩) فإنها بالراء والزاي، فيكون معناها بالراء نحييها، وبالزاي، نحرك بعضها إلى بعض ونزعجه، ومنه يقال: نشز الشيء، ونشزت المرأة على زوجها[١].

ويبدو أنه يورد ذلك ليدلل على أن الشاهد القرآني في قراءاته المتعددة، يكون ذا أثر واضح في تفصيل الوجه اللغوي والمعنى الدلالي، بل يوجه المعنى ويصوبه، ويعطي آفاقاً من الفهم والتفسير.

وينظر إلى القراءات القرآنية، على أن بعضها يعضد بعضا، وقد أشار إلى ذلك في كتابه تأويل مشكل القرآن[٢]، ويبين أن الاختلاف في القراءات، إنما هو اختلاف في أوجه الزيادة والنقص واختلاف الحرف دون المعنى، لذلك لم يعرض لهذا الاختلاف والتوضيح في كتابه غريب القرآن، اكتفاءً بما أورده في تأويل المشكل. بل ذكر خلاف الأوجه ووضح المعنى فقط. وركز على اختلاف الحرف، أو الزيادة، وما لها من أثر على المعنى[٣].

وظهر أن تفسيره وتأويله لحديث الأحرف السبعة، التي ذكرها في كتابه المشكل هو ما اعتمد عليه ابن الجزري في كتاب النشر[٤]، والزركشي، في البرهان في علوم القرآن.

علوم القرآن الكريم ومصطلحاته

يتضح لمن يقرأ كتاب تفسير غريب القرآن أن ابن قتيبة، كان على دراية بعلوم القرآن الكريم ومصطلحاته، فحفل كتابه بإشارات تدل على معرفته وتمكنه

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٩٥، وهي قراءة متواترة، انظر النشر، ٢٣١/٢.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، ص٤٢، وانظر، منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن، بحث د. يونس حمش خلف.

(٣) انظر في استشهاده بالقراءات القرآنية، تفسير غريب القرآن، ص٤٦، ١٠٤، ١٥٧، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٥٧، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٨، ٤٩٣.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، ٢٢/١، وانظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ٢٧٧/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

مما يقول، وذلك بإشارته إلى بعضها في تقديم كتابه فذكر السور التي تعرف بالمئين، والسبع الطوال، والمثاني، والمفصل، والحواميم[1]، وهي مصطلحات علوم القرآن، يذكرها المفسرون عادة في مقدماتهم[2]، ليكون المتلقي على علم بما يوردونه في ثنايا كتبهم، وكذلك كتب القراءات، فابن الجزري ينقل عن ابن قتيبة تفسيره الأحرف السبع فيقول[3]: وقد وقفت على كلام ابن قتيبة، وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر. فقال: "وقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة الأول...".

ويعد ذكره أسماء السور، علامة على نظره الدقيق في معاني الآيات التي تتحدث عنها السورة، فأورد أسماءً لسور القرآن الكريم، يظهر أنها كانت بناءً على تأمُّلٍ في معاني سياقها وترادف أحكامها، ونظر إليها الدكتور عبد الحميد سيد طلب، أنها غير مألوفة لمن لم يتعمق في علوم القرآن، لأنها مخالفة لما هو معروف من أسمائها في المصحف الشريف[4]. ولكن المحقق لكتابه، أوردها في الحاشية، وذكر أنها كانت في المخطوط بهذه الأسماء غير المعروفة، إلا سورة المسد، فإنه أثبتها باسم سورة اللهب[5].

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن، ص٣٥-٣٦.

(٢) انظر، القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٥٩/١ وما بعدها، دار الكتاب العربي، وانظر: أبا حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، عناية صدقي محمد جميل، ٢٠/١-٢٦، دار الفكر للطباعة، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣) النشر في القراءات العشر، ٢٧/١.

(٤) انظر: طلب: عبدالحميد سيد، غريب القرآن ورجاله ومناهجهم، ص١٩٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة ثقافتك الإسلامية، الكويت.

(٥) تفسير غريب القرآن، ص٥٤١، وانظر، ص٥٣١، ص٥٣٩، ص٥٤٠.

ومن الأسماء الذي ذكرها د. طلب، قوله: الفاتحة: الحمد، الإسراء: بني إسرائيل، القمر: سورة اقتربت، القلم: سورة نون، قريش: الإيلاف، الماعون: أرايت[1] ، وربما كان يذكرها بأهم إشاراتها، أو بمطالعها وفواتحها[2] .

ويعرج ابن قتيبة على أسباب النزول، ويورد المناسبة باختصار شديد، لا يكاد يتجاوز بضع كلمات، أو جملة، أو جملتين، فلم يقف عند أسباب النزول بذكر الحادثة كاملة، بل بإشارة يسيرة، على خلاف ما عند المفسرين من الاستطراد في ذكر المناسبة، وفي الوقت نفسه ترك كثيراً من مناسبات النزول، فلم يعرج على ذكرها، خلافاً لما ذكر د. عبدالحميد طلب[3]، فهناك كثير من المناسبات، والمناسبات المهمة أغفل ذكرها، كمناسبة سورة المجادلة، وعبس، والضحى، ومناسبة أواخر سورة النحل، وقصة الأنفال، وآية التيمم، وسورة الأحزاب[4]. فإغفاله ذِكرَ المناسبة في كثير من كتابه، أمر يدعو إلى الغرابة، لأنه ذكر بعض المناسبات وأغفل مناسبات كثيرة مهمة جداً، مثل قصة الأنفال، والمجادلة، وعبس، والأحزاب! فهل يعود ذلك إلى اعتماده على الصحيح منها، وإغفال غير الصحيح؟ وهذا أمر بعيد فإن المناسبات السابقة مما جاءت به أحاديث صحيحة، كالأحزاب والمجادلة[5]، وغيرها، أم أنه اعتمد على معرفة المتلقين للمناسبة؟ أم هي طريقة من طرق الاختصار؟ يظهر أن اعتماده على المناسبة، كان فيما يعين على فهم الآية فقط، ثم يترك ما سواه، لأنه ركز كتابه على شرح الغريب وتفسيره، وأضرب عن باقيه صفحاً.

---

(١) غريب القرآن رجاله ومناهجهم، ص١٩٠-١٩١. وقد ساق كثيراً من أسمائها غير المألوفة.

(٢) انظر، ص٣٨٨، ص٣٩١، ص٣٩٥، فإنه ذكرها بفواتحها، حم الزخرف، حم الشورى....

(٣) انظر غريب القرآن رجاله ومناهجهم، ص١٨٨.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن، ص ١٢٧ ١٧٧، ٢٤٩، ٣٥٢، ٤٥٦، ٥١٤، ٥٣١.

(٥) انظر في آيات الأحزاب، صحيح البخاري ص٣٢٤ حديث رقم ٤٧٩١، ٤٧٩٢، وفي قصة المجادلة، القزويني: عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، حديث رقم ٨٨، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م وتفسير القرطبي: ١٧/٢٧٠.

وكما تحدث عن مناسبة النزول فإنه ذكر الناسخ والمنسوخ، كما في حديثه عن آية الصوم، من قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (البقرة: ١٨٤). فقال[١]: وهذا منسوخ بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾(البقرة: ١٨٥). وكما في حديثه عن آية الوصية[٢]. لكنها كانت نادرة جداً، ولعل ذلك يعود إلى خلاف العلماء أصلاً حول الناسخ والمنسوخ، فلم يرد أن يدخل في خلافات؛ لأن كتابه لا يحتمل مثل هذه الخلافات والنزاعات!

وأشار إلى رؤوس الآيات وتناسقها ونهاياتها، وأنكر الزيادة والنقص، المفضي إلى تغيير المعنى، أو تأويله إلى غير مراده، ففي قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ (الرحمن: ٤٦) ينقل عن الفراء، قوله: وقد تكون في العربية جنة واحدة، قال: أنشدني بعضهم[٣]:

وَمَهْمَهَيْنِ قَدْ مِينَ مَرَّتَيْن قَطَعْتُه بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْنِ

يريد مهمهاً واحداً وسمتاً واحداً... قال وذلك للقوافي، والقوافي تحتمل. فذكر ذلك عن الفرّاء ثم عطف عليه بقوله: "وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف، ونجيز على الله – جل ثناؤه – الزيادة والنقص في الكلام لرأس آية"[٤] فإنكاره على الفراء، كان أن تقوّل على الله بغير دليل، أفضى إلى إخلال بالمعنى المراد لأجل مناسبة رؤوس الآية، لكنه نظر

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٧٣.

(٢) السابق نفسه، ص٧٢.

(٣) البيت في لسان العرب، غير منسوب، مادة سمت، ٤٦/٢. غير أن جملة قدمين أثبتت بـ (قَدْفَيْنِ).

(٤) تفسير غريب القرآن، ص٤٣٩. وانظر البرهان في علوم القرآن، ٩٥/١-٩٦، وقد أيد الزركشي رأي ابن قتيبة فيما ذهب إليه.

إلى زيادة الحرف في نهاية الكلمة، أو نقصه لأجل رؤوس الآية مما لا يخل بالمعنى المراد، ولأن العرب أجرته في كلامها، فقال[1]: "وإنما يجوز في رؤوس الآي أن يزيد هاءً للسكت، كقوله تعالى: ﴿وما أدراك ماهيه﴾ (القارعة: ١٠)، وألفاً كقوله: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ (الأحزاب:١٠) أو بحذف همزة من الحرف، كقوله: ﴿أثاثاً ورئيا﴾(مريم: ٧٤)، لتستوي رؤوس الآي، على مذهب العرب في كلامها".

ويبدو أنه أجاز ذلك لأجل، أن القراءات القرآنية والأحرف السبعة، جاءت بزيادة حرف، أو نقصه، بشرط ألا يخل بالمعنى، أو يكون ضداً، أو نفياً لحكم شرعي[2].

وبما أنه أخذ على نفسه الاختصار، كما ذكر في المقدمة، فإن إشارته إلى القضايا الفقهية كانت يسيرة، ولم تظهر في ثنايا كتابه إلا إذا اضطر لذلك، من خلال اختلاف القراء في اللفظ، فكان يذكرها باختصار شديد، كأن يقول عند قوله تعالى: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾(البقرة: ٢٢٢)[3]. "أن ينقطع عنهن الدم، يقال طَهُرت، وطَهَرت، إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء، ومن قرأ يطَّهرن أراد يغتسلن بالماء، والأصل يتطهرن". وكذلك في إشارته إلى الإضرار بالمطلقة[4]. ولعل ذلك يعود إلى منهجه في الاختصار، وتفسير الغريب فقط، فالقضايا والمسائل الفقهية في حاجة إلى طول شرح وبيان، ولها كتبها المخصصة لذلك.

الأقوال المأثورة

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٤٤٠، وانظر ص٤٣٤، في حديثه عن لفظ: ونهر، في نقله عن الفراء أيضاً.

(٢) انظر بحث منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن.

(٣) تفسير غريب القرآن، ص٨٤.

(٤) انظر السابق، ص٨٨، ص٩١، ص١٢١، ١٤٤، وكلها إشارات يسيرة جداً للقضايا الفقهية.

اعتمد ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن، على الأقوال المأثورة، فأورد منها ما يعينه في شرح الغريب وتفسيره، فأورد قول عثمان رضي الله عنه، في تفسير لفظ الأماني في قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾(البقرة: ٧٨) فقال[١]: "ومنه قول عثمان رضي الله عنه: "ما تغنيت ولا تمنيت" أي: "ما اختلقت الباطل". وكقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾(الكهف: ١١)[٢]، أي أنمناهم، ومثله قول أبي ذر: "قد ضرب الله على أصمختهم". وقوله في شرح قوله تعالى: ﴿يسلكه عذاباً صعداً﴾ (الجن: ١٧)[٣]، ومنه قول عمر: "ما تصعَّدني شيء ما تصعّدتني خطبة النكاح".

ويورد كثيراً من أقوال العرب في بيانه وشرحه للغريب[٤]. وتعد هذه الأقوال المأثورة والأمثال معينة في فهم مراده من بيان معنى اللفظ، أو توضيح شرحه وتأكيداً لما يذهب إليه من معنى.

ولما كان القرآن متشابهاً مثاني، يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً[٥]، فإن أقرب المعاني ما كان يفسر القرآن بالقرآن، وكذلك النص المبدع يشير بعضه إلى بعض، فإن ابن قتيبة اتخذ من القرآن الكريم نفسه شرحاً لمواضع أخرى منه، وتبدو هذه الطريقة، طريفة في مكانها، ذات دلالة على وضوح القرآن لمن تدبره وعرف مواضعه، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿في طغيانهم يعمهون﴾(البقرة:

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٥٥، والقول لعثمان، في النهاية لابن الأثير، ٣٦٧/٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٤، والقول لأبي ذر في لسان العرب، مادة صمخ، ونصه: فضرب الله على أصمختنا فما انتبهنا حتى أضحينا. ٣٥/٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩١، وقول عمر، أورده ابن الأثير، ٣٠/٣، وانظر في الأقوال المأثورة لأشخاص بعينهم ص٣٣٨، ٣٤٤، ٣٩٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥، ٣٢، ٣٤، ٥٣، ١١٠، ١٢٠، ١٣١، ١٤٤، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٢٦، وغيرها.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٩/١٥.

١٥)، يقول[١]: "أي عتوهم وتكبرهم"، ومنه قوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء﴾ (الحاقة: ١١) أي: "علا"، ففسر الطغيان على أنه علو وتكبر، ثم جاء من القرآن الكريم نفسه ما يؤكد ما يذهب إليه. ومنه تفسير قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾(البقرة: ٤٤)، قال: "أي: وتتركون أنفسكم"، كما قال: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾(التوبة:٦٧)، ففسر النسيان بالترك وأورد الآية التي تدل على الإهمال، والترك من موضع آخر. وكذلك في قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار﴾ (الزمر: ٥)، يقول[٢]: "وأصل التكوير اللف والجمع"، ومنه كور العمامة، ومنه قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ (التكوير: ١) أي: "جمعت ولفّت". وقال في قوله تعالى: ﴿غضبان أسفا﴾ (الأعراف: ١٥٠)[٣]، يقال: آسفني فأسفت أي: أغضبني فغضبت، ومنه قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ (الزخرف: ٥٥). وواضح تتبعه لآيات الله في مواضعها من القرآن الكريم، ليبين ما يريد الذهاب إليه من معنى، ويواكب الآيات في سياقها، وأماكن ورودها ليكون أقرب للفهم، وأصوب للمعنى. وتبدو أنها الطريقة نفسها التي تبعها صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن[٤].

ويظهر أن ابن قتيبة اتخذ من هذه الطريقة منهجاً في التوصل إلى المعنى المراد، فكثر في كتابه إيراد الآيات من موضع آخر ليفسر الموضع نفسه ويشرحه[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن، ص٤١.

(٢) السابق، ص٣٨٢.

(٣) السابق، ص١٧٣.

(٤) انظر الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣٠١/٦، ٣٠٥، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر. ومواضع هذا الكتاب كلها شاهدة على تفسير القرآن بالقرآن.

(٥) انظر تفسير غريب القرآن، ص٣٠، ٣٣، ٤٧، ٥٧، ٨١، ١٥٢، ١٨٨، ٣٣١، ٣٥٨، ومواضع أخرى غيرها.

ويلحظ أن ابن قتيبة رتب كتابه بناء على ترتيب سور القرآن الكريم حسب تتابعها في المصحف الشريف، وحسب ترتيب الآية ورقمها، بناء على ما يظن أنه من الغريب، أو في حاجة إلى توضيح، خلافاً لطريقة الراغب الأصفهاني فيما بعد. فالراغب الأصفهاني[1] صنف كتابه – معجم مفردات ألفاظ القرآن –على نسق المعجم حسب جذر اللفظ، ولا يعنيه أين وقع في أية سورة أو آية. فيأتي بالجذر، ثم يعطف عليه كل ما جاء من تصاريفه في القرآن الكريم.

ويعد منهج ابن قتيبة عسيراً من وجه، سهلاً من وجه آخر، أما سهولته فتكون لمن عرف مواضع الآيات والسور، وأدام النظر في كتاب الله. لكن عسرها يكمن فيمن لم يعرف السورة والآية، فعليه حينئذ أن يرجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ليعرف اللفظ في آيته وسورته ثم يعود إلى كتاب ابن قتيبة – تفسير غريب القرآن – وربما يكون ابن قتيبة قصد من ذلك تتبع اللفظ الغريب في مكانه من الآية والسورة، ولم يدر في خلده ترتيب المعجم وألفاظه، فإنه لم يرده معجماً، بل شرحاً للغريب. وفي الوقت نفسه لم يجعل كتابه تفسيراً بالمصطلح المعروف بين المفسرين[2]، ولم يجعله معجماً بالمصطلح المعروف بين المعجميين، إنما بين هذا وذاك؛ فصبّ اهتمامه على الغريب فقط، في سياقه ومكانه من الآية والسورة.

وظهر في نهاية هذا البحث ثقافة ابن قتيبة اللغوية، والنحوية، والشرعية، وإلمامه بعلوم عصره المختلفة وتلك الثقافة السائدة في تلك البرهة من الزمان، وتلك

---

(١) انظر: الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر للطباعة، بيروت.

(٢) انظر: نصار: حسين محمد، كتب غريب القرآن.

http: //www.ghrib.net/vb/showthread. Php?=26722 page=1.

البيئة المزدحمة بالأفكار والخصومات الفكرية[1]، فظهر بمظهر المعتدل المتزن، الذي سلك منهجاً وسطاً وطريقة واضحة، لا تعرف الشطط أو الانحراف، ولا التعسف في القول، بل أنكر على هؤلاء تعسفهم، وبعدهم عن الصواب، وميلهم إلى الأقوال الشاذة، ومع ذلك فإنه لم يكتف بأن يفسر الغريب، بل إنه أحياناً كثيرة يحيل ما يرى فيه حاجة إلى توضيح، إلى كتابه، تأويل مشكل القرآن[2]؛ ليزداد المتلقي معرفة وإيضاحاً لما يقول، فكأنه جعل كتابه هذا للغريب المختصر، والآخر – تأويل مشكل القرآن – لما يرى أنه في حاجة إلى شرح وتوسع، إلا أنه في نهاية الحديث عن منهجه، تبين بوضوح تتبع الغريب في كتابه، ومحاولته الإفادة من اللغة العربية، من شعرها، وأمثالها، وأقوالها، ومن حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم كان أطرف ما في كتابه هو توظيف آيات القرآن الكريم لشرح بعضها بعضاً، في دقة واضحة وقدرة على الإحاطة بآيات القرآن ومعرفة مراميها في سياقها ونسقها.

الخاتمة:

١- تبين في نهاية البحث أن غريب القرآن الكريم يشكل حضوراً واضحاً وهذا ما دعا ابن قتيبة إلى تصنيف هذا الكتاب.

٢- وأن الغريب تزول غرابته بتتبع اللفظ في القرآن الكريم، ويفرق بينها بناءً على استخدام القرآن الكريم نفسه ثم بناءً على تغير الصيغة الصرفية.

٣- تبين كذلك أفضل طريقة لمعرفة الغريب في القرآن الكريم هي تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) انظر: الحسيني: إسحاق موسى، ابن قتيبة، ترجمة هاشم ياغي، ص١٧-٢٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط (١)، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢) انظر في إحالته على كتاب تأويل مشكل القرآن، ص٤١، ٤٤، ٤٥، ١٢٨، ٢٠٢، ٢٤٥، ٣٢٢، ٣٥٦، ٤٣٦، ٤٧٧، ٥٣٩، وغيرها.

٤- وأن تبادل الحروف وإدغامها في بعض ألفاظ الغريب كان يفتح آفاقاً واسعة من التصور والفهم، ويزيل اللبس عنها إذا ما نظر إلى جذرها اللغوي وما جرى عليها من إدغام وإبدال.

٥- وأن منهج ابن قتيبة كان منهج المختصر والميسر للتوضيح والشرح، وليس للخلاف والتشعيب في المعنى.

٦- أفاد ابن قتيبة في منهجه في هذا الكتاب من ثقافة عصره، وأكثر من الشواهد؛ وتبين بذلك سعة اطلاعه وثقافته المتنوعة.

٧- كان منهجه منهج المتفحص وليس الناقل؛ لذلك رجح أقوالاً ورد بعضها وأسقط أخرى، وابتعد عن التعسف والشطط.

٨- كثرة الشواهد الحديثة والشعرية والأقوال تدل على تمكنه من علمه وفهمه وتبرز تميزه في كتابه.

٩- كتابه يعد مرجعاً لغوياً من حيث التفسير اللغوي فحسب؛ لذلك خلا من أية آراء فقهية أو شرعية إلا في النزر اليسير.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعدات، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣- الأشموني: أحمد بن محمد بن عبدالكريم، منار الهدى في معرفة الوقف والابتداء، مكتبة الحلبي، بمصر، ط (١)، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤- الأصفهاني: الراغب أبو القاسم، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر للطباعة، بيروت.

٥- البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦- البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب، دار صادر، بيروت.

٧- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- التيمي: أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ط (٢)، بيروت، ١٩٨١م.

٩- الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- الجريسي: محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، تحقيق: محمود حسين الزهيري، دار الجنان، ط (١)، ٢٠٠٩م.

١١- الحسيني: إسحاق موسى: ابن قتيبة، ترجمة هاشم ياغي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط (١)، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢- ابن حنبل: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، إشراف: د. سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، ط (١)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٣- أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، عناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٤- الخالدي: صلاح عبدالفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، ط (١)، الأردن، ١٩٩٧م.

١٥- خلف: د. يونس حمش، منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن، موقع الحضارية، معهد الأبحاث والتنمية، www.ALHADHARIYA.

١٦- دينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٣).

١٧- تفسير غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٨- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٩)، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٩- الرقيات: عبيدالله بن قيس، ديوانه، تحقيق، د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

٢٠- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢١- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بمصر.

٢٢- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (١)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٣- طلب: د. عبدالحميد سيد، غريب القرآن ورجاله ومناهجهم، وزارة الأوقاف الإسلامية، سلسلة ثقافتك، ١٩٨٦م.

٢٤- العسقلاني: الحافظ شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، دار الفكر للطباعة.

٢٥- عطوي: فوزي، المعلقات العشر، دراسة ونصوص، الشركة اللبنانية، بيروت.

٢٦- الفرَّاء: أبو زكريا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف، دار السرور، بيروت.

٢٧- القرشي: أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي البجاوي.

٢٨- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي.

٢٩- لبيد: شعر لبيد بين الجاهلية والإسلام، د. زكريا صيام، ط (٢).

٣٠- ابن ماجة: عبدالله بن محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار ابن حزم، بيروت، ط (١)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣١- ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٣٢- ميمون بن قيس: ديوان الأعشى، شرح: د. محمد محمد حسين، المكتب الشرقي، بيروت.

٣٣- نصار: حسين محمد، كتب غريب القرآن، بحث

http//www.ghrib.net/vb/showthread.php?t=26722&page=1

٣٤- النابغة الذبياني، شرح ديوان النابغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٥- يعفور: الأسود، ديوان الأسود بن يعفور، صنعة: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٦٨م.